لو كان إلهاً كما يقولون لقدر على دفع أمر الله إن أراد إهلاكه وإهلاك أمه وغيرهما **ولله ملك السماوات**
**والأرض وما بينهما** إنما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لأنه أراد وما بين هذين النوعين والصنفين من
الأشياء فإنما ملكه وأهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده **يخلق ما يشاء** يعني من غير اعتراض عليه
فيما يخلق لأنه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من أب وأم **والله على كل**
**شيء قدير** يعني أن الله تعالى لا يعجزه شيء أراده فلا اعتراض لأحد من خلقه قوله تعالى **وقالت اليهود**
**والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه** قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء وبحري
ابن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم
نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله عز وجل فيهم وقالت
اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال أما اليهود
فإنهم قالوا إن الله أوحى إلى بني إسرائيل أن ولدك بكري من الولد فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين
يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد أن أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل فأخرجهم
فذلك قوله لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وأما النصارى فإن فريقاً منهم يقولون المسيح ابن
الله وكذبوا أيضاً فقالوا على الله تعالى فهذا وجه قول اليهود فإنهم يقولون إنه من جهته وعطفه عليهم
كالأب المشفق على الولد وأما وجه قول النصارى فإنهم لما قالوا في المسيح إنه ابن الله ادعوا أنه
منهم فكأنهم قالوا نحن أبناء الله لهذا السبب وقيل إن اليهود إنما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف
أي والمعنى نحن أبناء رسل الله وأما النصارى فإنهم تأولوا قول المسيح أذهب إلى أبي وأبيكم وقوله إذا صليتم
فقولوا يا أبانا الذي في السماء لتقدس اسمك فذهبوا إلى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما أراد المسيح
عليه السلام إن صحت هذه المقالة عنه فإن تأويلها أنه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين
كالأب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرون لأنفسهم على سواهم
بسبب أسلافهم الأفاضل حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا هذه المقالة نحن أبناء الله وأحباؤه
فأبطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى **قل فلم يعذبكم بذنوبكم** معناه إن كان
الأمر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وأنتم قد أقررتم على أنفسكم أنه يعذبكم أربعين يوماً وهل رأيتم
والداً يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب أن يعذب حبيبه في النار **بل أنتم بشر ممن خلق**
يعني بل أنتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني آدم تجزون بالإساءة والإحسان قوله تعالى **يغفر**
**لمن يشاء** يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية **ويعذب من يشاء** يعني من مات على اليهودية والنصرانية
وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه **ولله ملك السماوات والأرض**
**وما بينهما** يعني أنه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء
والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على أنه تعالى لا ولد له لأن من يملك السماوات والأرض يستحيل أن يكون له شبيه
من خلقه أو شريك في ملكه **وإليه المصير** يعني وإلى الله مرجع العباد في الآخرة فيجازيهم بأعمالهم
قوله تعالى **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل** قال ابن عباس قال معاذ
بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه
رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا
ما قلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده فأنزل الله هذه الآية
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمداً صلى الله عليه وسلم يبين لكم أحكام الدين والشرائع يعني
على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة
فروي عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أخرجه البخاري وقال
قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أو ما شاء الله من ذلك وعنه

القاسم

٢٧

أنها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك أربعمائة
وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين
ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة من الرسل فذلك قوله تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث قال والرابع لا أدري من هو وكانت تلك السنين مائة وأربعة وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة قال
أبو سليمان الدمشقي والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي
ضيعه قومه قال الإمام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل
أن التحريف والتغيير كان قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول أزمانها وسبب ذلك
اختلط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذراً ظاهراً في إعراض الخلق عن العبادات لأن لهم أن يقولوا
إلهنا عرفنا أنه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمداً صلى
الله عليه وسلم لإزالة هذا العذر وذلك قوله عز وجل **أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير** يعني
لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت **فقد جاءكم بشير**
**ونذير** يعني فقد أرسلت إليكم محمداً صلى الله عليه وسلم لإزالة هذا العذر **والله على كل شيء قدير**
يعني أنه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة إليهم **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا**
**نعمة الله عليكم** قال ابن عباس اذكروا عطية الله وقيل معناه اذكروا أيادي الله عندكم
وأيامه التي أنعم فيها عليكم قال الطبري هذا تعريف من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قديم وهو تمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لأنفسهم وشدة
خلافهم لأنبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه لديهم ومسلياً بذلك
نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل **إذ جعل فيكم**
**أنبياء** يعني أن موسى عليه السلام ذكر قومه بني إسرائيل بأيام الله عندهم وبما أنعم عليهم
فقال اذكروا نعمة الله عليكم إذ فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء قال الكلبي هم السبعون الذين
اختارهم موسى من قومه وانطلقوا معه إلى الجبل وأيضاً كان أنبياء بني إسرائيل من أولاد يعقوب
بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وهؤلاء لا شك أنهم من أكابر الأنبياء وأولاد يعقوب وهم
الأسباط أنبياء على قول الأكثرين وموسى وهارون عليهما السلام وأيضاً فإن الله تعالى أعلم موسى
أنه يبعث من بعده في بني إسرائيل أنبياء فإنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء
فكان هذا شرفاً عظيماً لهم ونعمة ظاهرة عليهم **وجعلكم ملوكاً** يعني وجعلكم أحراراً تملكون
أنفسكم بعد أن كنتم عبيداً في أيدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم أصحاب خدم وحشم قال قتادة
كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كانوا بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكاً ذكره البغوي بغير سند
وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي
إليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت من الأغنياء قال فإن لي خادماً قال فأنت
من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعاً
وفيه ماء جار فهو ملك **وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين** يعني من عالمي زمانكم يذكرهم
ما أنعم الله عليهم في فلق البحر لهم وإهلاك عدوهم وإنزال المن والسلوى عليهم وإخراج الماء
من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم إلى غير ذلك من النعم التي أنعم الله بها عليهم قوله تعالى
**يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم** لما ذكر موسى قومه ما أنعم الله به عليهم
أمرهم بالخروج إلى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة

جعل فيكم

Copyright King Saud University